مجلة المقتطف

البستاني

للشاعر الفيلسوف الهندي رابندرانات طاغور

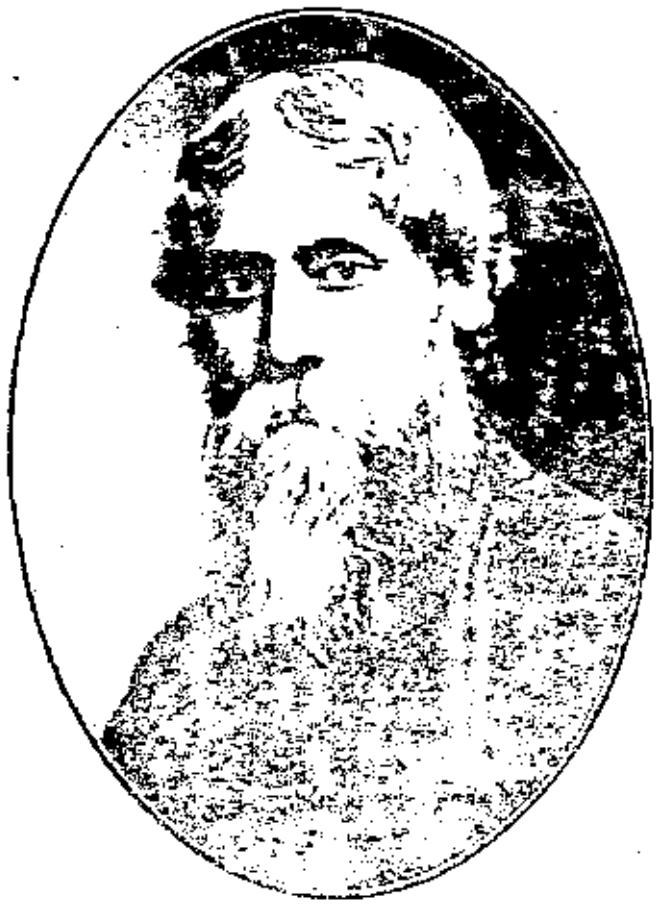

نقلها الى العربية كامل محمود حبيب

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه أناشيد (البستاني) أقدمها بين يدي قارئي العزيز ، وهي أناشيد غزلية كتبها طاغور بالهندية وترجمها هو الى الانكليزية، فيها رقة النسيم العليل، وابتسامة الفجر الضاحك، وحلاوة الأمل الباسم، وهي خمس وثمانون نبضة من نبضات قلب شاعر حساس قلبه وعقله معاً فوق الانسانية ليهبط عليها بوحي من نفسه الشاعرة الرقيقة

وهي تجمع بين الغزل الرقيق الخلاب الذي لم ترَ مثله في العربية ، وبين الفلسفة الصوفية العميقة التي كشفت عن روح الشرق السامية . فها هي ذي أنشرها بين يدي القارىء الكريم علَّهُ يجد فيها لذة استشعرتُها كالجان النضر بين سطورها

والله أسأل أن يوفقني ... آمين

أمل

البستانى

للشاعر الفيلسوف طاغور

— ١ —

الخادم — يا مليكتي ، أسبغي على خادمك بعض فضلك !

الملكة — لقد انقضى السامر وتفرّق الخدم ، فلماذا جئت وقد انتزع عقد الليل ؟

الخادم — حين تخلو مليكتي إلى نفسها ، أبتغي أنا إليها الوسيلة

لقد جئت أسألك ما ادخرتِ لخادمك من عمل

الملكة — وماذا تبتغي في هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟

الخادم — مُري فأكون بستانيّ حديقة أزهارك

الملكة — يا للحمق !

الخادم — سأنفض عن نفسي كل عمل سوى هذا

سأتي بيني وربحي جانباً . لا تقذفي بي إلى غياية قصورك الثائبة ، ولا تدفعي بي إلى ميدان القتال ، ولكن مُري فأكون بستانيّ حديقة أزهارك

الملكة — وماذا تريد أن تعمل هناك ؟

الخادم — سأقوم على خدمتك في أيام فراغك

وأتعهد حشائش الطريق لتظل خضراء ناضرة . الطريق الذي تجتازين كل صباح ، حيث الأزهار التي تسير الحوذان في طريق الفناء ، تحيي قدميك عند كل خطوة في ولاء

وأرجيح بين الأرجوحة بين غصون دوحة الساتيرتاء حيث تزاحم أشعة

الغير — عند الفسق — خلال أوراق الشجر لتفل ذين يرطلك
ثم أترع مصابيح مراشك بالزيت العطر، وأنثر على موطىء قدميك الصندل
والزعفران في دقة واتقان

الملكة — وما تنتظر من أجر؟

الخادم — أجري أن تأذني فأمسك يديك وكأنهما زهرتان ناضرتان من زهرات
النرجس، فأزين معصمهما بسوارين من زهر، وأصبغ أخمص قدميك
بمصير زهرة (الأشوكا) الأحمر، ثم أنفض عنهما ما عساه أن يعلق بهما
من ذرات التراب

الملكة — لقد أجبت سؤلك، يا خادمي، فاذهب فأنت الآن بستاني حديقة أزهاري

— ٢ —

«آه، أيها الشاعر، إن الماء يقبل في أناة، والشيب يدب في شعراتك»

«أفتسمع من خلال تأملاتك رأنت في خلوتك رسالة الغيب؟»

قال الشاعر «حقاً، إنه الليل، وأنا جالس أتسمع لأن صوتاً سيرتفع
— في جوف الليل — من جانب القرية»

«وأنا أرقب القلوب الشابة وهي تتلاقى بعد تيه، ونظرات الهوى وهي تنطلق
تطلب الموسيقى لتصدع السكون من حوانيها وتتحدث اليهما»

«من ذا يستطيع أن ينسج أغانيها المتأججة على منوالها، إن أنا انزويت على
شاطىء الحياة لا أستشعر في نفسي سوى الموت والحياة الأخرى؟»

«لقد توارى أون مجير بزغ عند الغروب»

«ووميض نار الموتى [1] إلى جانب النهر الهادىء يخمد رويداً رويداً»

«وعواء أبناء آوى يرتفع من جنبات الغزل الموحش في ضوء القمر الشاحب»

«إذ تلبث مسافر هنا قليلاً ليرقب الليل، وأطرق حيناً ليملأ مسمعيه من
هيهمة الظلماء، فمن ذا الذي يمسك في أذنيه أسرار الحياة إن أوصدت باب
من دونه لأتحلل من قيود الإنسانية؟»

«إنه لخرافة أن يدب الشيب في شعراتي»

[1] الموتى هي التي تحرق عند الهنود بحراقة فيها جثتها وتواريها وبعدها بعض أقاربها بهم الليل

« إني دائماً شاب كأصغر شباب القرية ، وشيخ كأكبر شيوخها »

« بعض الناس ترتسم على شفاههم ابتسامة عذبة رقيقة ، والبعض يشعّ من نظراتهم الخبث »

« بعض تترقرق العبرات في أعينهم في وضح النهار، والبعض يسدلون على دموعهم ستراً من غطش الليل »

« كل أولئك في حاجة شديدة إليّ ، فأنا لا أجد متنفساً من عمري لأفكر في الحياة الآخرة »

« إني أعيش مع كل أولئك ، فماذا يضيرني إن دبّ الشيب في شعراتي »

— ٣ —

عند الصباح طرحت شبكتي في البحر

ثم جذبتها من الهوة المظلمة فألفيت فيها أشياء ذوات بهجة وجمال . بعض يشع كالابتسامة ، وبعض يلمع كالعبرة ، وبعض يتألق كأنه خد عروس

وعدت الى داري أحمل ثقل يومي ، فاذا التي أحب جالسة في الحديقة تعبث بأوراق زهرة

فتردّدت حيناً ، ثم نثرت عند قدميها كل ما حملت ، ووقفت بأزائها صامتاً ولفتت هي إلى أشيائي ثم قالت : « ما أعجب ما أرى ؟ ماذا يفيد كل هذا ؟ »

فأطرقت مليًّا من خجل ، وطاف بخاطري « أني لم أجهد نفسي في سبيل هذا ، ولم أدخر له ثمناً . إن كل هذا لا يستأهل أن يكون هديتي اليها »

ومضى الليل إلاّ أنه وأنا أقذف بها جميعاً — واحدة فواحدة — الى الطريق وحين أسفر الصبح جاء السائحون أرسالاً . فالتقطوا كل ما قذفت به وحملوه الى بلاد نائية

— ٤ —

ويلي ! ماذا دهاهم فشيدوا داري على الطريق الى سوق المدينة ؟

يد ان أرقبهم ترسو — وهي منذ ذاك تحمل — الى جانب شجراني

ثم هم يغدون ويروحون ويضطربون في غير رقبة

وأنا جالس أرقبهم والزمان يمر بثقل
فلا أستطيع لهم دفعاً . وهكذا تنقضي أيامي

* * *

إن وقع أقدامهم يرن — صباح مساء — بأذني بي
وعبثاً أصيح : « أنا لا أعرفكم »
وبعضهم تعرفه أناملي ، والبعض تتشاءم أنني ، وإنهُ ليخيّل إليَّ أن دم عروقي المتدفق يعرفهم ، البعض يبدو لي في أحلامي
وحين لا أستطيع لهم دفعاً ، أناديهم « تعالوا إلى داري أني شئتم . نعم ، تعالوا »

* * *

عندما يتنفس الصبح تدوّي دقات النواقيس في جنبات المعبد
فيقبلون وفي أيديهم سلالهم
وأقدامهم مخضبة بالأحمر الوردي ، وعلى وجوههم شعاع الفجر الندي
وحين لا أستطيع لهم دفعاً ، أناديهم « تعالوا الى حديقتي واجمعوا ما شئتم من زهر ، تعالوا اليَّ »

* * *

وفي كبد النهار يتصاعد صوت الطبل لدى باب القصر
ولست أدري لماذا ينصرفون عن عملهم ليضربوا بأوتاء أسوار داري
إن الزهرات التي تزيّن شعورهم ذابلة ذاوية ، والنغمات تتصاعد من مزاميرهم واهنة
وحين لا استطيع لهم دفعاً ، أناديهم « تعالوا يا صحابتي ، فاظل تحت شجراتي وارف ظليل »

* * *

وفي هجعة الليل يعلو صدى صوت صرار الليل في أرجاء الغابة
من ذا الذي هنا في أناة يطرق بابي في رفق ؟
لم استطع أن أشت وجهه ، وهو لم ينطق بكلمة ، ومن حوالينا السماء ساكنة
وحين لم أستطع دفع ضيفي الصامت ، رحت أحدق في وجهه من خلال الظلام ، ثم مجلت ساعات أحلامي

— ٥ —

أنا لا أجد القرار لاني أستشعر التطلع إلى ما وراء الحجب
وروحي تحلّق لتلمس ذيول الغيب
يا إلهي ، ما أشد نغم نايك !
إني أنسى — أنسى دائماً — أني لا أجد جناحين فأطير ، وأني موثق أبداً إلى هذه الناحية
إن في نفسي الشوق واليقظة معاً ، وأنا غريب نزل أرضاً غريبة
إن أغاسك ترف عليّ لتهمس في أذنيّ بالامل البعيد
وكلماتك تهبط على قلبي واضحة كأنها بعض لغته
يا من لا أجد السبيل اليه ، ما أشد نغم نايك !
إني أنسى — أنسى دائماً — أني أجهل الطريق اليك ، وأني لا أجد الفرس المجنح

* * *

إن في الفتور ، وقلبي ما ينفك يتخبط في تيهاء
في ساعات الخمود ، حين تمتد السحب ستراً منها على أشعة الشمس ، كيف يتراءى شخصك اللانهائي في زرقة السماء
أيها اللانهائي ، ما أشد نغم نايك !
إني أنسى — أنسى دائماً — أن أبواب داري التي أسكن موصدة على وحدي

— ٦ —

لقد كان الطائر السجين في قفصه ، والطائر الطليق في الغابة
وعلى حين غرة حمت بينهما يد القدر
فصاح الطائر الطليق « تعال نطر معاً الى الغابة ، يا حبيبي »
وهمس الطائر السجين « تعال أدن إليّ فمش جنباً الى جنب في قفص »
قال الطليق « بين هذه الاشجاج ؟ إن الفضاء الذي نشر فيه جناحي ! »
قال السجين « يا أسفاً . أنا لا أعرف كيف أطير ، فلم أحلق قط في الخلاء »

* * *

وصاح الطليق « ترنم ، يا عزيزي ، بألحان البرية »

فقال السجين « اجلس أنت الى جانبي أعلمك الحديث المهذب »
قال الطليق « لا ، آه لا ! إن الأغاني لا تلقّن »
قال السجين « يا أسفي ، فأنا لا أحسن أن أترنم بألحان الغابة »

لقد كان الحب في قلبيهما عاصفاً ، ولكن أنّى لهما أن يطيرا معاً جناحاً الى جناح
وتخللت نظراتهما قضبان القفص ، وعبثاً حاولا أن يتعانقا
ورفت أجنحتهما في شوق ثم انطلقا ينشدان معاً « تعال إليّ يا من أحب »
ثم قال الطليق « أنا لا أستطيع أن أكون سجنك فأنا أخشى الباب المغلق »
وهمس الطائر السجين « يا أسفاً ! إني لا أجد القوة في جناحيّ الذاويين »

— ٧ —

يا أماه ، ان الامير الشاب سيمر اليوم يا بابا ... فكيف أقوم بمثل هذا الصباح ؟
أرني كيف أصفف شعري ، وخبرني أي ثيابي القشيبة ألبس
لماذا ترمقيني في دهشة ، يا أماه ؟
أنا أومن بأنهُ لن يرفع بصره إلى نافذتي فيحييها بنظرة واحدة ، وانهُ سينطلق من أمامي في لمحة خاطفة ، غير ان الفتاة ما يهِ ستندفع اليَّ من بعيد قبل أن تتلاشى في ضعاف الفضاء
ولكن الامير الشاب سيمر يا بابا ولابدَّ أن ألبس الآن ثوب ثيابي

* * *

يا أماه ، لقد مرَّ الامير يا بابا وأشعة الصباح تتألق على مركبته
لقد رفعت عن وجهي قناعه ، وخلعت عقد الياقوت لألقي بهِ في طريقهِ
لماذا ترمقيني في دهشة ، يا أماه ؟
أنا أومن بأنهُ لن يلتقط عقدي وأنهُ سيتحطم تحت عجلات مركبته ثم يبدو بقعاً حمراً على الارض ، وما من أحد يستطيع أن يعرف ماذا كانت هديتي ، ولا الى من أهديتها
غير ان الامير الشاب مرَّ يا بابا فنزعت عن صدري حليتهُ لألقي بها في طريقه

— ٨ —

حين انطفأ السراج الذي الى جانب فراشي استيقظت في بكرة الصباح مع الطيور
وجلست الى نافذتي المفتوحة وعلى شعري الشعث إكليل من الزهور اليانعة
وفي نسمة الصبح جاء المسافر الشاب
وفي عنقه عقد من اللؤلؤ ، وأشعة الشمس تنكسر على تاجه ، فوقف لدى بابي وسألني وفي رنات صوته معنى الشوق « أين هي ؟ »
وخجلت فما استطعت أن أقول « إنها أنا ، أيها الشاب المسافر ، إنها أنا »

* * *

لقد كان الظلام بشعك ومصباحي خامد
وكنت أرتب شعري في أناة
وعند الغسق أقبل المسافر الشاب في عربته
وعلى فم جواديه رغوة التعب ، وعلى ثيابه غبار السفر
فترجل بأزاء بابي وقال بصوت فيه الجهد « أين هي ؟ »
فخجلت فما استطعت أن أقول « إنها أنا ، أيها المسافر المتعب ، إنها أنا »

* * *

لقد كانت إحدى نباتي الريف ، ومصباحي يضطرب في حجرتي
ونسيم الجنوب يهب في رقة وهدوء ، وبنات الثرثار ينطقن في قصبه
وأنا أرتدي قميصاً في ألوان عنق الطاووس ، ودثاراً في لون النبت الأخضر الغض
وقد جلست أنا الى النافذة أرقب الطريق المقفر
وفي جوف الليل رحت أهمهم « إنها أنا ، أيها المسافر القانط ، إنها أنا »

— ٩ —

حين أطلق وحدي — في جوف الليل — الى من أحب ، يكون الطير قد أمسك عن الغناء ، والرياح قد رعت عن نبتها ، والدور عن حتى الطريق قد شملها السكون
غير أن خلاخيلي هي التي ترن عند كل خطوة لشعري الخزي

* * *

وحين أجلس في منزل أحبه وقع قدمه ، أجد حفيف أوراق الشجر قد

خد ، وأمواه النهر هادئة كأنها السيف على تحذي الجندي النائم
غير ان قلبي هو الذي يدق في عنف... وأنا لا أدري كيف أمسى من روعة

* * *

وحين يأتي من أحب فيجلس الى جانبي فينتفض جسمي انتفاضاً وأغمض عيني يكون الظلام أسدل مسوحه ، والرياح راحت تصف فتطفىء سراجي ، والسحب تسحب ذيلها على الكواكب
غير ان حلى صدري هي التي تشع فينبعث منها النور وأنا لا أستطيع سترها

— ١٠ —

يا عروس ، دعي عملك جانباً ، واستمعي ، فالضيف قد أقبل
أتسمعين ؟ إن يديه تداعبان رتاج الباب في رفق
فاحذري أن يرين خلخالك رنّاته المدوّية ، وأن تختلج خطواتك حين لقياه
يا عروس دعي عملك جانباً ، فالضيف قد أقبل مع المساء

* * *

لا ، ليس هذا صوت الريح الصرّ — يا عروس — فلا تفزعي
إنها ليلة مقمرة من ليالي أبريل ، والظلال في فناء الدار شاحبة ، والسماء فوقنا صافية
اسدلي قناعك إن شئت واصحبي السراج الى الباب إن استشعرت الخوف
لا ليس هذا صوت الريح الصرّ ، يا عروس ، فلا تفزعي

* * *

ولا تتحدثي إليه إن أحسست الخجل وقني إلى جانب الباب حين تلاقيان
واذا سألك عن شيء فاخفضي الطرف في صمت إن أردت
واحذري أن يسمع وسوسة خلخالك وأنت ترافقينه إلى الداخل وفي يدك السراج
ولا تتحدثي إليه إن أحسست الخجل

* * *

أفلم تنجزي عملك ، يا عروس ؟ استمعي فالضيف قد أقبل
أفلم تشعلي السراج في زربية الفرو ؟
أفلم تهيئي سلال الهدايا التي تقدمين في المساء ؟
أفلم تضعي شارة الجمد الحمراء عند مفرق شعرك ، وتزيني جيدك بالمرجان في المساء ؟

أتسمعين يا عروس ؟ لقد أقبل الضيف
فدعي عملك جانباً

— ١١ —

تعالي كما أنت ولا تضيعي وقتك في الزينة
ولا يُعنّيك أن تلتمسي عقائص شعرك ، أو أن يكون مفرق شعرك مضطرباً ، أو أن تتدلى منطقتك
بل تعالي كما أنت ولا تضيعي وقتك في الزينة

* * *

تعالي — على العشب — في خطى فسّاح
ولا يعنّيك أن تمحي أصباغ قديمك من أثر الندى ، أو أن تحل جلاجل خلاخيلك ، أو أن يفرط عقدك الياقوتي فتتناثر حباته
بل تعالي — على العشب — في خطى فسّاح

* * *

أتترين السحب وهي تنعقد في السماء ؟
وأسراب الكراكي تندفع من شاطىء النهر الأقصى ، وتتناوح نسمات الروح والقطقان تطير الى القرية في ذعر لتنضم بزرائبها
أتترين السحب وهي تنعقد في السماء ؟

* * *

عبثاً تحاولين أن تجري مصباح زينتك ، لأنه يضطرب من أثر الريح ثم يخبو
من ذا الذي يدري ؟ لعل أهدابك لم تمس سراج المصباح — لأن دمع عينيك أشد حلوكة من سواد السحابة الماطرة المطر
وعبثاً تحاولين أن تجري مصباح زينتك لأنه يخبو سريعاً

* * *

تعالي كما أنت ولا تضيعي وقتك في الزينة
ماذا يضير إذا لم ينعقد إكليل الزهر ، أو لم يشد النو
إن السحب تتكاثف في السماء ، والزمان ينطوي
فتعالي كما أنت ولا تضيعي وقتك في الزينة

— ١٢ —

إذا كنتِ في مشغلة وأردتِ أن تملأي جرتك ، فتعالي ، تعالي إلى بحيرتي
فأوّها يداعب قدميك ويكشف لك عن سرّه
إن طلائع الفيء تتهادى على الرمال ، والسحب تتراكم فوق هامات الشجر
الزرق كما يتكاثف شعرك فوق حاجبيك
وأنا أستشعر نغم وقع قدميك لأنها تقع في قلبي
تعالي ، تعالي إلى بحيرتي إن أردتِ أن تملأي جرتك

* * *

وحين تريدين أن تجلسي في فتور، وتذّري جرتك تضطرب على سطح الماء،
فتعالي ، تعالي إلى بحيرتي
فالمنحدر تزينه الحشائش الخضر وألوان من الزهور البرية
ستشع خواطرك من عينيك السوداوين كما يطل طائر من عشه
وسيسقط ضيقك عند قدميك
فتعالي ، تعالي إلى بحيرتي حين تريدين أن تجلسي في فتور

* * *

وإذا شئتِ أن تتبذّلي اللهو جانباً لتدفني بين طيات الماء فتعالي ، تعالي إلى بحيرتي
ثم اقذفي بثوبك الأزرق على الشاطىء لتلبسي من زرقة الماء ثوباً غيره . يضمّك
ويحول بينك وبين الأعين
فالأمواج ستترقب لتقبل عنقك وتهمس في سمعك
فتعالي ، تعالي إلى بحيرتي إذا شئتِ أن تدفني بين طيات الماء

* * *

وإذا جنّ جنونك فانطلقت تنشدين التهاويل [illegible] فتعالي ، تعالي
إلى بحيرتي
ففيها البرد والعمق اللانهائي
وفيها ظلام كأنه الموت العميق
وفي غورها تستوي الظلمات والنور ، والأعالي والسكون
فتعالي ، تعالي إلى بحيرتي إن أردتِ أن تنشري في جسم الموت

— ١٣ —

أنا لا أسألك شيئاً إلاَّ أن تجلسي على حافة الفناة في ظل شجرة
ما يزال الفتور في عيني الفجر ، وما تنفك قطرات الندى تضطرب في الفضاء
وما تبرح رائحة الحشائش الندية تنبعث — على وجه الأرض — خلال الضباب الصفيق
وانت تجلسين تحت شجرة (ابا بان) [1] تحلبين بقرتك بيديك الغضتين الناعمتين وكأنهما الزبدة
وأنا واقف في صمت

* * *

لم أنبس بكلمة ، بل هو الطائر الفريد الذي راح يترنم وهو يتوارى وراء الأيكة
لقد كانت أزهار شجرة المانجو تتناثر على طريق القرية فيتهافت نحوها النحل فرادى
وعلى جانب البركة باب معبد (سيڤا) مفتوح ، وقد أخذ العابد ينشد أناشيده
وفي حجرك وعاء تحلبين فيه بقرتك
وأنا واقف في صمت وبين يديَّ قدحي الفارغ

* * *

لم أقترب منك
لقد كانت السماء تهب من غفوتها مع دوي طبل المعبد
وغبار الطريق تثيره حوافر القطعان السائرة
والحواري مغلات من لدن الفجر وعلى أوداجهن أثر ما لفظته جرارهن المفرغة
وسارزك توسوس ، والزبد يعلو على حافة جرتك
وأسفر الصبح وأنا لم أقترب منك

— ١٤ —

عند الأصيل كنت أذاعب على الطريق الى غير غاية ، والنسيم يعبث بأفنان شجرة الجوزان فتخف حفيفاً خفيفاً
وظلال المتحدر تمد ذراعيها في آثر الضوء الفارّ

---

[1] شجرة ابا بان : شجرة هندية تشبه شجرة التين وهي من فصيلتها

والطيور تستشعر السأم من أغانيها
وأنا أدلف على الطريق الى غير غاية

* * *

والكوخ الى جانب الغدير تظله دوحة عظيمة
وهناك فتاة في شغل ، وحِلاها ترن — في ناحية — في موسيقا عذبة
فوقفت أنا بازاء هذا الكوخ . . . وقفت ولست أدري لماذا

* * *

الطريق الضيق ينحني يخترق حقول الخردل وغابات الفاكهة المتكاثفة
وهو يمر بعبد القرية وبالسوق عند السورية
فوقفت أنا بأزاء هذا الكوخ . . وقفت ولست أدري لماذا

* * *

منذ سنوات كانت نسمات مارس تهب هينة ، على حين كانت همسات الربيع ترتفع مكدودة متعبة ، وأزهار المشمش تتساقط فتتعثر في التراب
وأمواج الماء تثب في خفة لتداعب الجرة الموضوعة عند مأتى الماء
اني أذكر من هذا اليوم اقاص مارس الحادثة . . . اذكرها ولست أدري لماذا

* * *

أخذ الظلام ينشر أستاره والقطعان ترتد الى حظائرها
وراح الضوء ينحسر عن المروج الخاوية . والفلاحون ينتظرون انفراد لدى الشاطىء
غير أني رجعت وحدي في بطء وملل ، وأنا لا أدري لماذا

— ١٥ —

إني أشتد كما يشتد غزال الملك في ظلال الغابة وقد أسكرته روح الملك المنبثة منه

إن هذه هي إحدى ليالي مايو التي تتنفس فيها ريح الجنوب
لقد ضلت طريقي فلا أهتدي ، وأنا أفتش عن أشياء لا أجدها ، وأجد أشياء لا أفتش عنها

* * *

إن طيف وشيني يبدو من فتى فيضرب ناحيتي
هو طيف متألق يخدع أعين ناظري
لقد أجهدت نفسي أن أمسك به في . . . غير أنه أفلت من بين يدي ودفعني الى الخطة السحيقة

فرحت أفتش عن أشياء لا أجدها ، وأجد أشياء لا أفتش عنها

—١٦—

يد في يد ، وعين تحدق في عين . . . هكذا ابتدأ تاريخ قليتا

انهُ ضوء القمر الملامع في إحدى ليالي مارس . إنها رائحة الحناء تتأرّج فتعطر الهواء . إنهُ ثاني الملتقى جاباً في غير عناية . ولكن إكليل زهورك لم يتم بعد

وأصرة الحب التي بينك وبيني بسيطة كالأغنية

* * *

إن قناعك ، في لونه الزعفراني ، يكر عيني

وهذا الاكليل الذي تصنعين لي من أزهار الياسمين بثت في قلبي هزات الشكر

إنه عبث المنح والمنع ، والظهور والاحتجاب ، فحيناً تبتسمات وحيناً بعض الخجل ، وحيناً آخر بعض النزاع العذب

ولكن أصرة الحب التي بينك وبيني بسيطة كالأغنية

* * *

لا غير ، وراء الحاضر ، لا جهاد في سبيل المستحيل ، لا أشباح وراء رقي السحر ، ولا غوص في غمار الظلمات ، لأن أصرة الهوى التي بينك وبيني بسيطة كالأغنية

* * *

نبي سنة تكلم لنظل في الصمت الأبدي ، ونحن نرفع أيدينا الى السماء طالبين أشياء لا يرقى اليها الأمل

يجب ان نقنع بما يعطي ونأخذ

إننا نحظى السرور فنقتصر منهُ على الألم

ولكن أصرة الهوى التي بينك وبيني بسيطة كالأغنية

—١٧—

إن الطائر الأصفر على فننه يغرّد فيهتز له قلبي طرباً

إن كلينا سكان قرية واحدة ، وهذا هو سرّ بهجتنا معاً

إن خمائلها المدلاة يجيئان نرعيا في ظلال أشجار حديقتي

وحين ينسدل الى حفلي المزوق شعيراً ، أحتفظ بين ذراعي

بين ذراعي حنانها وشهرتها هو أنجانا

وسحر معرفة كل من في القرية ، أما نحن فهو راثجانا

* * *

إن خلاً واحداً يفصل بيننا

فالنحل التي تتخذ في حديقتنا بيوتاً تلتمس الرحيق من حديقتهم
وأزهارهم التي تتساقط في النهر بدفعها التيار الى حيث نستحم
والسلان الملاّي بزهور (الكمبم) الخافقة ترد من حقولهم الى سوقنا
إن قريتنا هي خاجانا ونهرنا هو أنجانا
واسمي يعرفه كل من في القرية ، أما اسمها هي فهو رانجانا

* * *

إن الطريق الذي يقود إلى دارها يتأرج — في أيام الربيع — بعطر أزهار المانجو
وفي حقولهم ، حين ينضج بذر الكتان نبوشك أن نحصده ، تتفتح أزهار القنب في حقولنا
والنجوم التي تبسم فوق دارهم ترمقنا أيضاً بنظراتها المتآلفة
والأمطار التي تملأ أحواضهم تنعش عندنا غابات (الكادام)
إن قريتنا هي خاجانا ونهرنا هو أنجانا
واسمي يعرفه كل من في القرية ، أما اسمها هي فهو رانجانا

— ١٨ —

كما ينطلق الأخوان إلى الغدير ، نبسمان — دائماً — حين تبدو هذه المكان
معهما تتساقط إنساناً يتوارى خلف الأشجار كما انطلقنا الى الغدير

* * *

إن الأختين تبسمان كلٌّ في أذن الأخرى ، حين تمران بهذا المكان
معهما كشفنا عن سرّ ذلك الانسان الذي يتوارى خلف الأشجار كما انطلقنا إلى الغدير

* * *

إن جرّتيهما تتهاديان على حين غفلة فيتطاير منهما رشاش حين تلقان هذا المكان
منهما استشعرنا الماء يندى في عطف ويتوارى خلف الأشجار كما انطلقنا الى الغدير

* * *

إن الأختين تتبادلان النظرات ثم تبسمان ، حين تلقان هذا المكان
إن خصلاتهما الرشيقة تبدو ضاحكة ، على حين تمتلئ هي الاضطراب في
خواطرها من يتوارى خلف الأشجار كما انطلق الأخوان إلى الغدير

— ١٩ —

أنت تسيرين بزهو النهر وقد حملت جرّتك المترعة
فهذا تحدثين في من خلال وصاوص مقلتك الصدق

إن شعاع هذه النظرات يثبت من ضمير الظلماء فيغمرني كأنه نسمة رقيقة تهب على الماء المنساب فترسل فيه هزة اضطراب ، ثم تدفع الى الشاطىء البعيد

إن شعاع هذه النظرات يندفع إليَّ كأنه طائر الليل الذي يجتاز في سرعة ما بين طرفي الحجرة المظلمة ، فيدخل من نافذة ويخرج من الأخرى ، ثم يتلاشى بين أستار الليل

إنك تختفين كأنك نجم توارى خلف التلال ، وأنا أسير على الطريق

ولكن لماذا تتلثمين قليلاً لتحدقي فيَّ من خلال رصاوص نقابك ، على حين كنت تسيرين بازاء النهر ، وقد حملت جرَّتك المترعة ؟

— ٢٠ —

انه يأتي ، يوماً بعد يوم ، ثم يعود

انظر اليه — يا صديقتي — وقدّمي اليه زهرة من زهرات شعري

واذا سألك عن التي بعثت اليه بهذه الزهرة فلا تسميني له . . . لأنه يأتي ، يوماً بعد يوم ، ثم يعود

* * *

انه يجلس دائماً على الزرى في فيء شجرة

فابسطي له — يا صديقتي — طنفسة من الزهر وأوراق الأشجار

إن في عينيه حزناً يتسرب الى قلبي

وهو لا يتحدث عن بعض خواطره . . . غير أنه يأتي ، يوماً بعد يوم ، ثم يعود

— ٢١ —

لماذا آثر هذا الشاب الطائم أن يهفو نحوي كما أسفر الصبح ؟

في إقبالي وإدباري ، أمس أنه دائماً ، يتعلق بصري بسمات وجهه

فما أدري أأتحدث اليه أم أعبث في صمتي ؟ ولكن لماذا آثر هواك يهفو نحوي ؟

إن ليالي يوليو التي تغيم فيها السماء تبدو حالكة ، وإن سماء الخريف تغازل زرقة صافية ، وإن أيام الربيع تزعزعها رياح الجنوب

وهو في كل آن يرسل نغم أغانيه عذبة

لقد تحولت عن عملي وفي عيني عبرات . ولكن لماذا آثر هواك يهفو نحوي ؟

— ٢٢ —

حين مرت هي في خطى سراع ، لمسني ذيل مرطها
وعلى حين فجأة راحت نسمات الربيع الدافئة تهب من مجاهل قلبي
وعترتني هزة من أثر اللمسة اللطيفة ثم تلاشت سريعاً كأنها خفقة ورقة من أوراق الزهر عصفت بها الريح ثم هبطت على قلبي كأنها آنة جسمها وهمسة قلبها

— ٢٣ —

لماذا نجلس هنا نتبين خلاك في فتور ؟
إملأي جرتك . فقد آن لك أن تعودي إلى دارك
* * *
لماذا تضعرب يداك في الماء، وأنت — في فتور — ترقبين على الطريق قادماً ؟
املأي جرتك وتعالي الى الدار
* * *
لقد تصرمت ساعات الصباح ... ونبع الماء العكر
ها هي الأمواج تبسم وتهامس في فتور
* * *
وهناك ، عند نشز من الأرض ، انعقدت السحب المتناثرة على حافة السماء
إنها تثريث وتحدق في وجهك ثم تبسم في فتور
فاملأي جرتك وتعالي الى الدار

— ٢٤ —

ياصاحبي ، لا تدفن سر قلبك بين ثناياه
بل اكشف لي عنه ... لي وحدي ... وفي خلوة
أنت ياس تبسم في لطف ، وتهمس في رقة ... إن قلبي هو الذي يصغي لك
ليست أذني
* * *
لقد سجا الليل ، وهدأت الديار ، وأوكار الطير لفها النوم في طياته
فتحدث إليّ من خلال عيونك البرقوقة ، من خلال بسماتك العذبة ، من خلال الخجل الحلو والأمل الجميل ... تحدث إليّ عن سر قلبك